

حياة أعظم الرسل

قريش تشكو الرسول
إلى عمه أبي طالب

قريش تشكو الرسول إلى عمه أبي طالب

رَأَى الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ أَنَّ
تَعْذِيَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ لَمْ يَأْتِ بِالنَّيْجَةِ الَّتِي
يُرِيدُونَهَا ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ يَجْذِبُ قُلُوبَ كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ وَعُقُولَهُمْ ، وَلَحَظُوا أَنَّ عَدَدَ
الْمُسْلِمِينَ يَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ ، فَفَكَّرُوا فِي أَنْ
يَتَحَادَّثُوا مَعَ الرَّسُولِ ، وَرَجَوْا أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَهُ ،
وَيَتْرُكَ دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى الدِّينِ الْجَدِيدِ .

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ
أُمُورًا لِيَمْتَنِعَ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،

فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ يُصَلِّي فِي
الْمَسْجِدِ . وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا ،
وَمِنْ أَحْسَنِنَا شَرَفًا وَنَسَبًا ، وَإِنَّكَ قَدْ جِئْتَ
إِلَى قَوْمِكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَرَّقْتَ بِهِ
جَمَاعَتَهُمْ ، وَحَكَمْتَ عَلَى عُقُولِهِمْ
بِالْحُمُقِ وَالْجَهْلِ ، وَعَبَتَ آلِهَتُهُمُ الَّتِي
يَعْبُدُونَهَا ، وَحَكَمْتَ بِالْكَفْرِ عَلَى مَنْ مَاتَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي لِأَعْرِضَ
عَلَيْكَ أُمُورًا أَرْجُو أَنْ تَقْبَلَ بَعْضَهَا . فَقَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ،
أَسْمِعْ .

فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا
جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ
أَمْوَالِنَا مَا تُحِبُّ ؛ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً .
وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَرْفًا جَعَلْنَاكَ سَيِّدًا عَلَيْنَا ،
لَا نُنْفِذُ أَمْرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْتَشِيرَكَ فِيهِ . وَإِنْ
كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا جَعَلْنَاكَ مَلِكًا عَلَيْنَا .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : هَلْ انْتَهَيْتَ يَا أَبَا

الْوَلِيدِ ؟

قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : اِسْتَمِعْ

مَنِّي .

فَقَالَ : إِنِّي مُسْتَمِعٌ . فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ

الآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ فُصِّلَتْ :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَم .
تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ^(١) . بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ^(٢) ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ^(٣)
مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ^(٤) ،
وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ^(٥) ، فَأَعْمَلْ إِنَّا
عَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى

(١) يَفْهَمُونَ وَهُمْ الْعَرَبُ .

(٢) مُبَشِّرًا مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا مَنْ يَعْصِيهِ بِالْعِقَابِ .

(٣) أُغْطِيَةٌ . (٤) ثِقَلٌ . (٥) خِلَافٌ فِي الدِّينِ .

إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَاسْتَقِيمُوا ^(١)
 إِلَيْهِ ، وَاسْتَغْفِرُوا . وَوَيْلٌ ^(٢) لِلْمُشْرِكِينَ .
 الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ^(٣) الزَّكَاةَ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ^(٤) ﴿
 وَاسْتَمَرَ الْمُصْطَفَىٰ يَقْرَأُ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ
 قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ^(٥) اللَّيْلُ
 وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا
 لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ . وَاسْجُدُوا لِلَّهِ

(١) بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ .

(٢) عَذَابٌ .

(٣) لَا يُعْطُونَ .

(٤) مَقْطُوعٌ .

(٥) مُعْجَزَاتِهِ .

الَّذِي خَلَقَهُنَّ ، إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ .
فَسَجَدَ الرَّسُولُ ، وَقَالَ لِعُتْبَةَ :

هَلْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ؟
فَقَالَ عُتْبَةُ : نَعَمْ . وَرَجَاهُ أَنْ يَكْتَفِيَ بِمَا قَرَأَ .
ثُمَّ رَجَعَ عُتْبَةُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ يَنْتَفِضُ مِنَ
الْخَوْفِ انْتِفَاضَ الْعُصْفُورِ . فَقَالَتْ لَهُ
قُرَيْشٌ :

لَقَدْ ذَهَبْتَ مِنْ عِنْدِنَا نَشِيطًا ، وَرَجَعْتَ
خَائِفًا مَرْعُوبًا . فَمَاذَا حَدَّثَ لَكَ ؟ فَقَالَ
عُتْبَةُ :

وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ

مِنْ قَبْلُ . وَاللَّهُ إِنَّهُ لَيْسَ بِالشَّعْرِ . وَلَيْسَ
 بِالسَّحْرِ . أَطِيعُونِي ، وَاتْرُكُوا هَذَا الرَّجُلَ
 لَيْسِيرَ فِي عَمَلِهِ ، وَاعْتَزِلُوهُ إِذَا أَرَدْتُمْ . وَاللَّهُ
 سَيَكُونُ لِكَلَامِهِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي الْعَالَمِ . فَإِنْ
 انْتَصَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ فَقَدْ اسْتَرَحِمَ مِنْهُ . وَإِنْ
 يَنْتَصِرُ عَلَى الْعَرَبِ فَانْتِصَارُهُ انْتِصَارٌ لَكُمْ ،
 وَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ . فَقَالُوا لَهُ : لَقَدْ سَحَرَكَ
 مُحَمَّدٌ ، وَاتَّخَذَ بَيْنَكَ بِكَلَامِهِ : قَالَ عُتْبَةُ : هَذَا
 رَأْيِي فِيهِ ، فَافْعَلُوا مَا تُرِيدُونَ .
 ثُمَّ عَرَضُوا عَلَى الرَّسُولِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ
 يُشَارِكَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ ، وَيُشَارِكُوهُ فِي

عِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا
 الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ^(١) .
 وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ^(٢) . وَلَا أَنَا عَابِدٌ
 مَا عَبَدْتُمْ ^(٣) . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
 مَا أَعْبُدُ ^(٤) . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ
 دِينِ ^(٥) ﴾ . وَحِينَمَا خَابَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ
 فِي جَعَلِ مُحَمَّدٍ يُغَيِّرُ طَرِيقَتَهُ ذَهَبُوا إِلَى
 عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، لِيُعْطِيَهُمْ مُحَمَّدًا

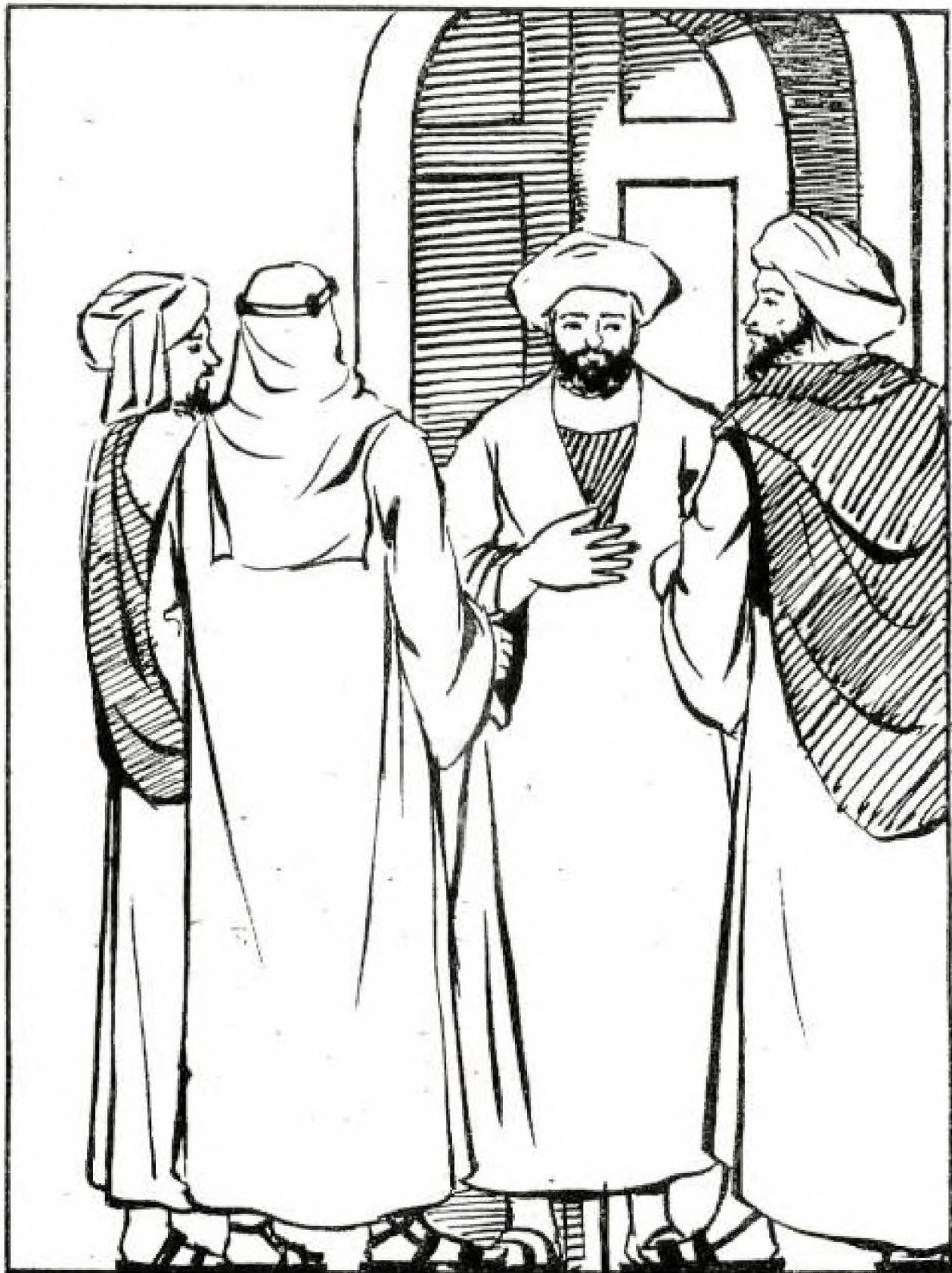
(١) الْإِلَٰهَ الْبَاطِلَ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ .

(٢) الْإِلَٰهَ الْحَقَّ الَّذِي أَعْبُدُهُ أَنَا .

(٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ عِبَادَتِكُمُ الْبَاطِلَةَ .

(٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ عِبَادَتِي الصَّحِيحَةَ .

(٥) لَكُمْ دِينُكُمْ لَا يَتَعَدَّكُمْ شُرْهُ ، وَلِيَ دِينِي لَا يَصِلُكُمْ خَيْرُهُ .



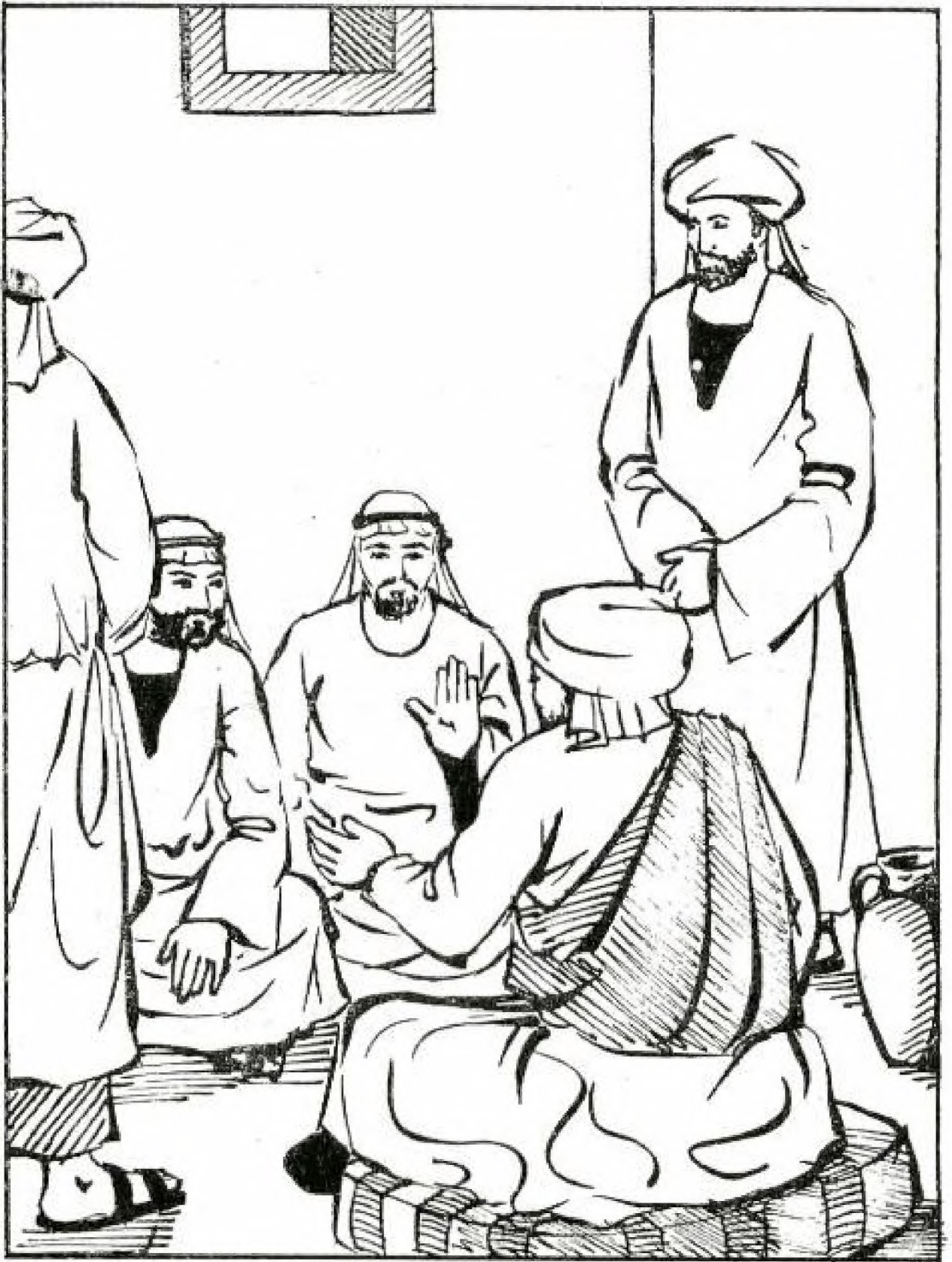
زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ يَشْكُونَ الرَّسُولَ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ

وَيُعْطُوهُ عُمَارَةَ ابْنِ الْوَلِيدِ بَدَلًا مِنْهُ ،
وَقَالُوا لَهُ : هَذَا أَقْوَى فَتَى فِي قُرَيْشٍ ،
خُذْهُ وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَاجْعَلْهُ
وَلَدًا لَكَ ، وَأَعْطِنَا مُحَمَّدًا ، هَذَا الَّذِي
خَالَفَ دِينَكَ ، وَدِينَ آبَائِكَ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
قَوْمِهِ وَأَهْلِهِ ، وَوَصَفَهُمْ بِنَقْصِ عُقُولِهِمْ .
أَعْطِنَا مُحَمَّدًا لِنَقْتُلَهُ . وَخُذْ هَذَا الرَّجُلَ
بَدَلًا مِنْهُ . وَهُوَ رَجُلٌ بَرٌّ جَلِيلٌ .

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : هَذَا كَلَامٌ لَا يَقْبَلُهُ أَيُّ
عَقْلٍ ، فَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي ابْنَكُمْ
لِأُطْعِمَهُ ، وَأَعْتَنِي بِهِ ، وَأَعْطِيَكُمْ ابْنِي

لِتَقْتُلُوهُ . هَذَا مُسْتَحِيلٌ ، وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ
أَقْبَلَهُ ، مَهْمَا يَكُنِ الْأَمْرُ . هَلْ رَأَيْتُمْ نَاقَةً تَحِنُّ
إِلَى غَيْرِ أَيْنِهَا ، وَتَعْطِفُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا لَهُ :
لَقَدْ قُمْنَا بِمَا يَجِبُ عَلَيْنَا لَكَ ، وَلَكِنَّكَ
لَا تُرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنَّا شَيْئًا . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ :
إِنَّكُمْ قَدْ اتَّفَقْتُمْ عَلَيَّ أَنْ تَقْفُوا ضِدِّي .
فَفَاعِلُوا مَا تُرِيدُونَ . وَلَنْ أَخْذَلَ مُحَمَّدًا ،
(أَيْ وَلَنْ أَتْرَكَ مُسَاعِدَتَهُ وَنُصْرَتَهُ) .
فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ كُلُّ الْعُضْبِ ، وَأَخَذَتْ كُلُّ
قَبِيلَةٍ تُعَذِّبُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِيَتْرَكُوا
الْإِسْلَامَ . فَدَعَا أَبُو طَالِبٍ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ ،

وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا حَدَّثَ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ
 الْمُحَافَظَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَالِدِّفَاعَ عَنْهُ ،
 فَاجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَتَسَاوَى فِي ذَلِكَ الْمُسْلِمُ
 وَالْكَافِرُ مِنْهُمْ . وَلَمْ يَشُدَّ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا عَمُّهُ أَبُو
 لَهَبٍ ؛ فَإِنَّهُ وَقَفَ مَعَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ضِدَّ
 الرَّسُولِ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَائِهِ إِذَاءً لَهُ .
 اسْتَمَرَ الْمُصْطَفَى فِي أَدَائِهِ لِرِسَالَتِهِ ،
 وَالِدَّعْوَةَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ
 الْأَصْنَامِ . وَلَمْ يُبَالِ إِذَاءً أَوْ اسْتِهْزَاءً .
 ثُمَّ اشْتَدَّ الْأَمْرُ بَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ،
 وَحَسَدُوهُ ، وَشَجَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى



أَبُو طَالِبٍ يُخْبِرُ أَقَارِبَهُ بِمَا حَدَّثَ وَيَأْمُرُهُم بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ

إِذَائِهِ . وَمَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالُوا لَهُ :
إِنَّكَ كَبِيرُ السِّنِّ . وَلَكَ مَرْكَزٌ كَبِيرٌ بَيْنَنَا .
وَكُلُّنَا نَحْتَرِمُكَ لِشَرَفِكَ . وَقَدْ طَلَبْنَا مِنْكَ
أَنْ تَمْنَعَ ابْنَ أَخِيكَ عَمَّا يَفْعَلُ ، وَتَنْهَاهُ عَمَّا
يَدْعُو إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَمْنَعْهُ . وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ
السُّكُوتَ عَلَى هَذَا ، حَتَّى تَمْنَعَهُ عَنَّا ،
أَوْ نُقَاتِلَهُ وَنُقَاتِلَكَ مَعَهُ ، حَتَّى تَمُوتَ
أَوْ نَمُوتَ نَحْنُ ، ثُمَّ خَرَجُوا . فَتَضَايَقَ
أَبُو طَالِبٍ ، وَكَانَ فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ . كَيْفَ
يَعْتَزِلُ قَوْمَهُ وَقَدْ احْتَرَمُوهُ وَقَدَّرُوهُ حَقَّ
قَدْرِهِ ؟

وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ أَنْ يَتْرَكَ الرَّسُولَ وَحْدَهُ
لِيُؤْذُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ . وَهُوَ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ
أَبْنَائِهِ ؟

فَارْسَلَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ
قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي ، وَقَالُوا لِي : إِنَّكَ
تَنْتَقِدُهُمْ ، وَتَنْتَقِدُ عِبَادَتَهُمْ ، فَفَكَّرْتُ فِيَّ ،
وَفِي نَفْسِكَ ، وَلَا تُحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحْتَمِلَهُ . فَأَحْسَنَ مُحَمَّدٌ بِالْمِ
عَمِّهِ ، وَتَأَلَّمَ لَهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُ لِأَعْدَائِهِ ،
وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ ضَعِيفًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدَافِعَ
عَنْهُ . وَمَاذَا يَفْعَلُ وَهُوَ يَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ

أَنَّ عَلَيْهِ وَاجِبًا يَجِبُ أَنْ يَقُومَ بِهِ وَيُنْفِذَهُ ؟
فَقَالَ لِعَمِّهِ مَا مَعْنَاهُ : « عَمِّي الْعَزِيزَ ، أَنْتَ
تَعْلَمُ مِقْدَارَ حُبِّي وَاحْتِرَامِي لَكَ . وَلَكِنِّي
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَهْمِلَ أَدَاءَ الرِّسَالَةِ . فَوَاللَّهِ ،
لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي
يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ لَنْ أَتْرَكَهُ ،
وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَوْتِي . لَنْ أَتْرَكَهُ حَتَّى
يُظْهِرَ اللَّهُ دِينَهُ ، وَيَنْشُرَهُ » . ثُمَّ بَكَى ،
وَقَامَ ، وَخَرَجَ . فَتَأَثَّرَ عَمُّهُ ، وَنَادَاهُ ، وَقَالَ
لَهُ : اذْهَبْ يَا بُنَيَّ ، وَقُلْ مَا تُحِبُّ ، فَوَاللَّهِ
لَا أَتْرُكُكَ أَبَدًا . وَسَاقِفُ بِجَانِبِكَ مَهْمَا
تَكُنُ النَّتِيجَةُ .